المقدمـــــة

فى « أهرام » الاثنين ٢٤ يونيه ١٩٩٦ م كتب الأستاذ رجاء النقاش مقالا بعنوان « الغاضبة » يدور حول الكاتبة البنغالية المعروفة تسليمة نسرين وروايتها « العار » ، وذلك بمناسبة صدور الترجمة العربية لهذه الرواية بقلم الكاتب الصحفى الأستاذ عصام زكريا .

وقد احتوى مقال الأستاذ النقاش على عدة قضايا : أولاها رأيه فى الترجمة ، التى وصفها بالامتياز والدقة والروعة . وكنت قد اشتريت الكتاب وقرأت شطرا كبيرا منه فلفت نظرى كثرة الأخطاء النحوية والصرفية والأسلوبية فيه (وإن كانت هناك كتابات كثيرة مما يصدر هذه الأيام أكثر أخطاءً وأشنع) ، ومن هنا فقد أثار هذا الإطراء الشديد عجبى واستغرابى ، إذ كيف يمكن أن يصف كاتب كالأستاذ رجاء مثل هذه الترجمة الكثيرة الأخطاء بما وصفها به ؟ ثم قلت لنفسى : لابد أن أحصل على النص الإنجليزى لأقابل بينه وبين الترجمة العربية ، فلعل رجاء النقاش لم يهتم بصحة الأسلوب العربى بقدر ما اهتم بسلامة النقل عن الإنجليزية . وقد بذلت أنا وبعض الأصدقاء جهدا مضنيا حتى ظفرنا بصورة من الكتاب ، وعندئذ

شرعت فى عملية المقارنة .

وخلاصة النتيجة التى خرجت بها من تلك العملية هى أن الترجمة صحيحة فى قسم من الكتاب ، على حين أنها ليست أكثر من ترجمة تقريبية فى قسم كبير منه ، أما القسم الثالث والأخير فيشتمل على عدد غير قليل من الأخطاء . وذلك كله غير الصفحات والفقرات والسطور والجمل الكثيرة التى أهملتها الترجمة عمداً أو سهواً لهذا السبب أو ذاك . أى أن حكم الأستاذ رجاء النقاش على الترجمة بالدقة والامتياز والروعة ليس له ما يسوّغه من هذا الجانب أيضا . على أن هذا ليس كل شىء فى هذه القضية ، فإن رجاء النقاش لم يقرأ الأصل الإنجليزى الذى ترجم عنه الأستاذ عصام زكريا . وهذا ليس كلاما من عندى ، بل هو كلامه فى المقال الذى نحن بصدده . ومن ثَمّ فإننا نسأل : هل يصح أن يصدر ناقدٌ حكماً على ترجمة من الترجمات دون أن يقوم بالمقارنة بينها وبين الأصل ؟

الحقيقة أننى لا أدرى كيف وقع ذلك من الأستاذ النقاش ، الذى أحرص على قراءة ما يكتب لما يتضمنه من مسائل تثير الفكر والوجدان ، رغم اختلاف الموقف الفكرى بيننا فى بعض الأحيان .

والمرجو ألا تغلبنا اعتبارات المجاملة أو التشجيع أو الاتفاق فى التوجه الفكرى على أنفسنا فتدفعنا إلى إصدار مثل هذا الحكم الجزاف ، فإن الكلمة أمانة ، وما دفعنى إلى هذا الكلام إلا رغبتى فى أن تظل صورة النقاد ثابتة متماسكة فى أعين القراء لا يعتريها اهتزاز .

ثانية هذه القضايا التى أثارها مقال الأستاذ النقاش قوله عن « عار » تسليمة نسرين إنها رواية ساخنة وجريئة وشجاعة ، وإنها مثل من الأمثلة العالية على ذلك الأدب الغاضب من أجل قضية إنسانية هى قضية الصراع الطائفى بين المسلمين والهندوس فى بنجلاديش.

والحق أن الرواية تظلم المسلمين فى بنجلاديش ظلماً شديداً ، إذ تلصق بهم كل ما يخطر وما لا يخطر على البال من نقائص ، وتصورهم وكأنهم وحوش آدمية : فهم يقتلون الهندوس ، ويغتصبون نساءهم ، ويدمرون معابدهم ، ويحرقون بيوتهم ، ويسرقون محلاتهم. والأرقام التى تذكرها الرواية فى هذا السبيل أرقام رهيبة لا تقنع أحداً . ولو أن عشر معشار ما ادعته الرواية على المسلمين هناك قد وقع فعلا لكانت فرصة لآلة الإعلام الغربية الجهنمية لتضع المسلمين على السَّفُّود وتشوى جلودهم حتى تنضج فتبدل بها غيرها ليذوقوا

العذاب من جديد ... وهكذا دواليك .

ومع ذلك فإن بعض السياسيين الهنود قد استغلوا الرواية فى طمس جرائم الهندوس ضد المسلمين فى الهند ، زاعمين أن مسلمى بنجلاديش هم الذين يعتدون على الهندوس .

ثم إن الكاتبة لم تدع روايتها تتحدث بنفسها عن ذلك ، بل النُّقُولُ والإحصاءات والأرقام المجردة هى التى كانت تتكلم . إن أية رواية هى عمل فنى ، والعمل الفنى غير البحث والمقال . وقد كان المفروض أن تخاطبنا المؤلفة من خلال الحوادث والشخصيات والحوار والوصف لا أن تجعل وسيلتها إلى ذلك النُّقُولَ والاقتباسات فى المقام الأول . ولا يشفع لها فى هذا أن تكون روايتها من النوع الذى يُطْلَق عليه « الرواية التسجيلية » كما ذكر الأستاذ رجاء النقاش ، إذ إن « الرواية » (تسجيلية كانت أو لم تكن)هى عمل فنى قبل كل شىء . ومن هنا فإن القارئ يفتقد فى « عار » الكاتبة البنجلاديشية هذه السخونة التى ذكرها الأستاذ رجاء. إنها فى الحقيقة رواية فاترة !

وفضلا عن ذلك فكثير من حوادثها الرئيسية التى وجهت مسارها يفتقر إلى الواقعية . ويكفينى هنا أن أشير إلى ما زعمته الرواية من اقتحام بعض الشبان المسلمين بيت سورنجان بطل القصة الهندوسى

أثناء غيابه ، واختطافهم أخته مايا تحت سمع وبصر الأب العاجز طريح الفراش والأم الواهنة الضعيفة التى لم تستطع أن تصنع لابنتها شيئا . لقد انطلق سورنچان ، بعد أن عاد إلى البيت وعلم بالحادثة ، يجوب شوارع المدينة هو وصديقه المسلم حيدر على الدراجة البخارية الخاصة بهذا الأخير ، بيد أنهما لم يعثرا لها على أثر . وبعد عدة أيام بَلَغَ الأسرةَ أن جثةً تشبه مايا قد عُثِر عليها أسفل أحد الجسور . فماذا كان رد فعلهم ؟ لقد قرروا ألا يذهبوا للتحقق من الجثة. والسبب ؟ السبب هو أنهم يريدون أن يظلوا عائشين على أمل عودتها يوماً ، بخلاف ما لو ذهبوا ووجدوا أن الجثة هى جثة ابنتهم فإنهم عندئذ سوف يفقدون الأمل إلى الأبد !!! ثم بعد يوم آخر تتخذ الأسرة قرارا بالهجرة إلى الهند حيث تستطيع أن تعيش فى أمان بين الهندوس من أمثالهم بعيدا عن أكلة لحوم البشر من المسلمين دون أن تخطر لأى منهم مايا على بال ، وكأن اختطافها قد مضت عليه بضعة عقود من الأعوام لا أيام معدودات !!! أيمكن أن يصدق أحد هذا؟ إنها البلاهة الفنية بعينها !

ويقول الأستاذ رجاء النقاش أيضاً إن الرواية تخلو من أية شبهة تشير إلى أن الكاتبة معادية للإسلام ، بل العكس هو الصحيح ،

فالكتاب دليل على أن صاحبته تفهم الإسلام على وجهه السليم فى دعوته الأصيلة للرحمة والتسامح والدفاع عن الضعفاء والوقوف بجانبهم . وهذه هى القضية الثالثة ، ولا بد أن نذكر بالتحية أولا الكلمةَ الجميلةَ التى أنصف بها الكاتب دينه ، تلك الكلمة التى تنم عن غيرة أصيلة على الإسلام ، الذى يستحق كل حب وإعجاب لعبقريته العظيمة ومبادئه الرائعة البديعة التى قلما نجد لها نظيراً فى أى دين من الأديان أو فلسفة من الفلسفات ، وإن وُجِدت فليس بهذا الحسن ولا بذاك الكمال .

لكن ليسمحْ لنا الأستاذ رجاء أن نخالفه فيما قاله عن حب تسليمة نسرين للإسلام وحسن فهمها له ، فالرواية تنحاز انحيازاً تامّا للهندوس وكل ما هو هندوسى ، وتسىء إلى المسلمين وتؤذيهم إيذاء شديدا ، ولا تستطيع أن نجد لهم ولو حسنة واحدة ، على حين أنها تعمل بكل وسيلة على التهوين من تعصب الهندوس ضد المسلمين فى الهند وعدوانهم الإجرامى الفظيع عليهم . وهى تدعو إلى « قمع » الجماعات والأحزاب الإسلامية أينما كانت ، وتبدى ابتهاجها بما فعله العسكر فى الجزائر إثر نجاح جبهة الإنقاذ الإسلامية هناك فى الانتخابات التى عقدتها وأشرفت عليها الحكومة

المعادية لهذه الجبهة ذاتها . ليس ذلك فقط ، بل هاجمت المؤلفة الإسلام أيضا فى حوار لها مع أحد الصحفيين الهنود نشرته إحدى الجرائد الهندية ، واتهمت القرآن الكريم بأنه متخلف عن العصر وأنه معاد للمرأة ...إلخ . ترى أهذا هو الحب والفهم اللذان يقصدهما الأستاذ رجاء النقاش ؟ ما كنت أظن أن الأمور يمكن أن تُقْلَب ويُجْعَل عاليها سافلها على هذا النحو وبتلك البساطة .

الحق أن هذا أكثر مما يحتمله الضمير . ومع ذلك فإن لتسليمة نسرين وغير تسليمة نسرين أن تقول ما تشاء ، وتعتقد ما تشاء . لكن هذا شىء ، وتبديل الحقائق شىء آخر .

وبالمناسبة ، فقد سمعت أن ترجمة الرواية قد صودرت ، وهو إجراء لا نحبذه ، فالرد العلمى كفيل بإيضاح الحقائق ووضع كل شىء فى نصابه ، والإسلام أقوى مما يتصور أى إنسان .

كذلك فقد سارعت حكومات الدول الغربية وبسطت حمايتها على الكاتبة . وهذه الدول حرة فيما تتخذه من سياسات ومواقف . لكننا فقط نتساءل : هل كانت هذه الحكومات لتهيج وتموج على هذا النحو لو كانت تسليمة نسرين تحب الإسلام حقا ؟ إن هذه الدول هى نفسها التى أصيبت بالصمم والبَكَم عندما قدّم اليهود فى

فرنسا الأستاذ رجاء جارودى للمحاكمة لا لشيء إلا لأنه كتب بحثا علميا تناول فيه إحدى المسائل التاريخية المحضة التى لا تمس عقيدة أحد أو تتطاول على دين من الأديان ، بل كل ما قال الرجل وقدم عليه الأدلة العلمية المفحمة هو أن حكاية أفران الغاز التى يقال إن هتلر قد أحرق فيها اليهود هى مجرد أسطورة خلقها الصهاينة خلقاً بغية إحراز بعض المكاسب السياسية على حساب العرب والمسلمين . فما الذى يثير عواطف الرحمة فى قلوب الأوروبيين تجاه تسليمة نسرين لو كانت تحب دينها ، فى الوقت الذى نراهم يتنمّرون فيه لواحد من أبناء جلدتهم وحضارتهم كان ولا يزال ملء السمع والبصر فى كل أرجاء العالم ، وذلك دون ذنب اقترفه ؟

وبعد ، فهذه كلمة عاجلة أردت أن أبين بها ما أعتقد أنه الحق فى القضايا التى أثارها الأستاذ رجاء النقاش فى مقاله المذكور. أما الدراسة التفصيلية لهذه القضايا والمدعمة بالأدلة والشواهد القاطعة فموضوعها الفصول التالية .

على أننى لا أحب أن يفوتنى توجيه الشكر هنا رغم كل شيء للأستاذ عصام زكريا ، إذ إن الصورة التى حصلت عليها عن طريق بعض الأصدقاء للنص الإنجليزى لرواية « العار » إنما أُخِذَتْ من

نسخته التى تفضل بإعارتها لنا لهذا الغرض . وهؤلاء الأصدقاء هم الأستاذ صلاح محمد أبو النجا (الباحث بالمجالس القومية المتخصصة)، والأستاذ عامر سلطان (الصحفى بالأهرام) ، والأستاذ إبراهيم منصور (الصحفى بروز اليوسف) ، فلهم منى كل الشكر والاعتراف بالجميل . كذلك لا بد من التنويه بالجهد المشكور الذى بذله علاء الدين إبراهيم عوض فى مراجعة تجربة الطبع الأخيرة معى ، إذ نبهنى إلى كثير من الأخطاء المطبعية التى كانت قد فاتتنى .

د . إبراهيم عوض
(آداب عين شمس)